

التأريخ بوصفه تأريخاً معاصراً

كروتشه نموذجاً

د. محمود محمد هملان الجبارات(*)

ملخص

فى ظل التطور الهائل فى وسائل الاتصال الجماهيرى هناك حاجة ملحة لإلقاء الضوء على نظرية المعاصرة التاريخية.

ويعد كروتشه؛ المؤرخ والفيلسوف الإيطالي، من أشهر من تولى شرح فكرة المعاصرة التاريخية التى تعنى بالنسبة إليه: أن التاريخ يجب أن يشكل محوراً أساسياً من محاور الثقافة؛ وأن واجبه أن يروى الحقائق، وأن كل التاريخ هو تاريخ معاصر؛ لأن حاجة الإنسان الحاضرة هى التى تدفعه إلى التركيز على مشكلات تاريخية ذات علاقة بالحياة المعيشة. لذلك فإن التاريخ هو تاريخ معاصر؛ وإننا نعيد إنتاج حوادث التاريخ لحاجة معاصرة.

ويخلص البحث فى المعاصرة التاريخية، كما عرضها كروتشه؛ إلى أن الاستخدام الحسن للتراث يمكن من إضاءة جوانب مهمة من تاريخنا المعاصر، ويشكل لبنة من لبنات المستقبل؛ وأن التصدى لبعض الطروحات التى تستند فى دعواها إلى التاريخ يجب إخضاعها للتجريح التاريخى وضمن ظروفها التاريخية؛ على أن يفهم من إثارة بعض الدعاوى التاريخية على أنها اهتمامات حاضرة لمن يستدعيها.

ولعل من المناسب أن نرفع من شأن الحرية والديمقراطية والتعددية التى استخدمها كروتشه فى مواجهة الفاشية، لمواجهة عالمية جديدة مهمة.

* كلية عمان للعلوم المالية والإدارية - جامعة البلقاء التطبيقية.

History as A Contemporary

History Benedetto Croce's theory

Dr. Mohmoud Muhammad Hamlan Al Jbarat

Abstract

During this massive evolution in public communication Medias, there is an enormous need to mention the historical contemporaneousness theory.

Benedetto Croce: an Italian historian and philosopher is one of the most famous persons that explained the idea of historical contemporaneousness. He explained it by saying that: history must form an essential part in culture and its duty is to tell the truth. All history is contemporary because present human needs demands concentrate on historical problems connected to the active life. Because of that history is considered to be the a contemporary history and we reproduce the historical events to satisfy a contemporary need.

The search in historical contemporaneousness as Croce presented concludes by saying that good usage of legacy could illuminate important parts from our history and raise a block in building the future, to confront some of the studies that depends in its claims on history we must submit these studies to historical historicism and put them in their historical circumstances to be understood from bringing up some of these claims that as present concern the one who claims them.

It might be suitable to raise the importance of freedom, democracy and pluralism that Croce used against fascism to confront a new global dominating fascism.

مقدمة:

يعد كروتشه الفيلسوف والمؤرخ والناقد الإيطالي من أشهر من تولى شرح فكرة المذهب المثالي في التاريخ في خلال القرن العشرين، وكانت له آراء مبتكرة في فلسفة التاريخ والفن والعلم والنقد والأدب والأساطير.

وكانت له انتقادات وملاحظات مهمة عن فلسفة التاريخ الذين سبقوه، واستطاع باطلاعه الواسع وثقافته المتنوعة أن يكون له وجهة نظر مستقلة، وهكذا كان له مذهب خاص في التجريح التاريخي والمعاصرة التاريخية، وروج لنظرية التاريخية المطلقة.

سنحاول أن نعرض من خلال هذا البحث لأبرز القضايا التي تهم الباحث في النظريات المتصلة بالمعاصرة التاريخية لدى كروتشه ضمن عناوين أهمها: حياته، وثقافته، ومؤلفاته، وموقفه من فلسفة التاريخ السابقين، وقضايا التجريح التاريخي، والمعاصرة التاريخية.

وفى خلال هذا البحث سنعالج فلسفته للتاريخ، من خلال العناوين: التجريح التاريخي، والتاريخ، بوصفه تاريخاً معاصراً ضمن عناوين الروح، الليبرالية الجديدة (الحرية)، وإعادة التفكير، وموقفه من فلسفة التاريخ، وسنختتم البحث بخاتمة نلخص فيها ما خلص إليه في هذا المجال.

كروتشه: حياته وثقافته ومؤلفاته

هو فيلسوف ومؤرخ وناقد إيطالي؛ ولد في بسكا سرولى بمقاطعة نابولي الإيطالية في الخامس والعشرين من شهر شباط عام 1866م، وتوفي في نابولي في الثانى والعشرين من شهر تشرين الثانى عام 1952م. وكان قد فقد عائلته في زلزال ضرب كازاميشيولا بجزيرة إسكيا عام 1883م⁽¹⁾.

درس الحقوق في جامعات أوروبا، لكنه لم يتابع دراسته فيها؛ لعدم ميله لدراسة الحقوق، وعاد إلى نابولي في العام 1886م؛ إذ أصبح عضواً في جمعية التاريخ الوطنية⁽²⁾، وهكذا لم يلتحق كروتشه بدراسة جامعية منتظمة، وكان معلم نفسه⁽³⁾. وقد انتخب سكرتيراً لجمعية التاريخ الوطنية، وتفرغ لهذا العمل عدة أعوام، وفى خلال نشاطه بهذه الجمعية أجرى أبحاثاً متنوعة في الدراسات التاريخية؛ إذ كانت اهتماماته منذ البداية في التاريخ والآثار⁽⁴⁾، واتضحت من خلال كتاباته نزعه الاستقلالية، وآراؤه المبتكرة، واتسع نشاطه خارج المجال الأكاديمي، ولذلك فقد عمد إلى تأسيس مجلة "كرتيكا" (النقد) في عام 1902م، بالتعاون مع صديقه جيوفانى جنتيله، وقد بدأ في خلال هذه المدة يهتم بالسياسة⁽⁵⁾.

وفى عام 1910م انتخب كروتشه عضواً فى مجلس الشيوخ، وفى خلال الحرب العالمية الأولى 1914م أعلن موقفاً محايداً إيجابياً، وأصبح يعلن عن موافقه المحايدة المبنية على أسس واضحة، من خلال مجلة "النقد"⁽⁶⁾.

وفى عام 1920م، عينه جيوليتى عضواً بوزارته؛ وزيراً للتعليم العام، وعندما بدأت الحركة الفاشية بزعامه موسوليني تدعم مركزها، انتقل إلى صفوف المعارضة؛ وبدأ نشاطاً مكثفاً منفرداً مع المعارضة، وقد أصدر بيانات موقعة باسمه ضد الحركة الفاشية حتى عام 1925م؛ وبعد ذلك بقليل اعتزل السياسة وإبداء معارضته، وابتعد عن السياسة حتى سقوط النظام الفاشي⁽⁷⁾.

وفى عام 1944م تحلق حوله أعضاء الحزب الليبرالى الإيطالى، واستمر فى نشاطه من خلال أصدقائه فى الحزب⁽⁸⁾ حتى عام 1947م، بدون أن يوافق على تولى أى منصب من المناصب التى عرضت عليه فى الحزب. وبقي هاجس العمل الفكرى فى مجالى الفلسفة والتاريخ مسيطراً عليه فى خلال هذه المدة، وقد انتزع عام 1947م، من السلطات الإيطالية آنذاك الموافقة على إنشاء المعهد الإيطالى للدراسات التاريخية فى مدينة نابولي، وقد تبرع كروتشه بتمويله وتقديم المقر والمكتبة⁽⁹⁾، وقد نشط من خلال هذا المعهد حتى وفاته، وكان هاجسه قلقه على مستقبل أوروبا وحضارتها، فكتب فى التاريخ والنقد كتباً من الطراز العلمى التقليدي، فضلاً عن مقالات وآراء نقدية سياسية مختلفة⁽¹⁰⁾.

أبرز مؤلفاته سنورها حسب تاريخ صدورها بادئين بأولها:

1. الاستطيقا بوصفه علماً للتعبير والألسنية العامة: ألفه عام 1901م⁽¹¹⁾.
2. المنطق: أصدره عام 1905م، واستعرض فيه فلسفة هيغل الذى لم يتسن له أن يتعرف إليه إلا من خلال ماركس وإنجلز، فرفض مبدأ عدم التناقض، وعرض مقابل جدلية الأضداد جدلية المتميزين، كما أضاف إلى مقولات الضد الاقتصادي التى حفظها عن الماركسية، وأن الواقع يحل بأكمله فى هذه المقولات الأربع التى تشكل الأولى والثانية منها الصفة النظرية (المعرفة الجمالية للفردى، والمعرفة الفلسفية - العلمية للعام)، فى حين تشكل الاثنان الأخريان الصفة العملية (الإرادة النفعية للفردى، والإرادة الأخلاقية للعام)، والطبيعة التى تؤلف خواء الإحساس والشعور الخام، هى مادة هذه الصور، ويصر كروتشه على دمجها مع العقل ليقادى الثنائية التى ينشأ نتيجة لها التعالي.
3. ما هو حى وما هو ميت فى فلسفة هيغل، أصدره عام 1907م، عن معلمه هيغل، وهو محاولة من كروتشه لإعادة إحياء فلسفة هيغل.
4. محاولة فى الصفة الوجدانية للفن، صدر عام 1908م، أكد فيه أن كل فن حقيقى هو شعر وجدانى.
5. الفلسفة العملية، صدر عام 1909م، أصر من خلاله على الصفة الكامنة للأخلاق، ناقداً النفعية الماركسية، وأخلاق كانط وهربارت المجردة.
6. فلسفة ج. ب. فيكو، أصدره عام 1911م. ويرجع الفضل إليه فى إعادة الاهتمام إلى فلسفة فيكو بعد طول نسيان⁽¹²⁾.
7. نظرية وتاريخ التاريخجغرافيا، الذى درس من خلاله الواقع بالتمثل التصورى للوقائع، فنزع إلى مماثلة التعريف بالحكم والتاريخ بالفلسفة.
8. الكامل فى علم الجمال، أصدره عام 1913م.
9. نظرية علم التاريخ وتاريخه، أصدره عام 1914م، وبحث فيه منهج البحث التاريخى، ونظرياته وفلسفته.
10. محاولة فى صفة الكلية للتعبير الفنى، ماثل فيه بين العقل والكون الموجود بكليته فى أثر شعري، وصور فكرته فى أبحاثه عن جوته (1918م)، وشكسبير (1919م).

11. تاريخ إيطاليا من 1871م إلى 1915م، عالج فيه تاريخ إيطاليا حسب التسلسل الزمني للوقائع.
 12. التاريخ بوصفه فكرا وفعلا، صدر عام 1938م، بحث من خلاله في منهج التاريخ وفلسفته.
 13. سمات الفلسفة الحديثة، صدر عام 1941م.
 14. الفلسفة بوصفها علما للعقل، في أربع مجلدات.
 15. أدب إيطاليا الجديدة: رفض فيه التكلف في الأدب لدى باسكولي، أنونزيو، وفوغازار، وأثنى فيه على المثال الأخلاقي عند كاروتش.
 16. دفاتر النقد: ضمن ما كتبه كروتشه في مجال النقد الأدبي، من خلال إصداره وإشرافه على كتابة الزوايا الأدبية في مجلة النقد، ومجلة دفاتر النقد.
 17. التاريخ من وجهة نظر الفن.
- كما أن لكروتشه كتابات متنوعة؛ منها يوميات شخصية، وكثير من الدراسات والمقالات والأبحاث التي بلغت نحوًا من ستين مؤلفاً⁽¹³⁾، كما أن له دراسات في الشعر، ومقالات عن كتاب أجانب، وكانت الليبرالية بالنسبة إليه ذهنية ومناخا، وقارنها بحركة التاريخ التي لا تكف عن الحرية في الفعل.
- نشأ كروتشه في ظل سيطرة التيار الوضعي في الفلسفة⁽¹⁴⁾، وكان تلميذا عند أسبافنتا، ولكنه اتجه إلى الفلسفة الهيجلية والفلسفة البراجماتية لدى لابيولا (1843-1903م)، وأعاد دراسة فيكو (1668-1744)⁽¹⁵⁾، وكانت أفكاره ذات نفع كبير لمعاصريه، خاصة كولنجوود⁽¹⁶⁾ في الوقت الذي شهد هو نفسه إعادة البناء الحضاري الأوروبي على أنقاض مخلفات الحرب العالمية الأولى⁽¹⁷⁾.
- ولما كان يتمتع بوضوح شديد في الأسلوب، وكثير الإطناب، فإنه كان أيضا يهتم اهتماما شديدا بجمالية لغته التي كانت على حساب الروح العلمية لمؤلفاته⁽¹⁸⁾. وهو بهذا الأسلوب تولى شرح فكرة أصحاب المذهب المثالي عن التاريخ في القرن العشرين⁽¹⁹⁾، وكانت كتاباته تعالج عددا كبيرا من المشكلات، وفيها مواقف جديدة طريفة، وتستند إلى فكر منظم متصل الحلقات، وتقدم عرضا شاملا لعناصر المثالية الهيجلية والمذهب التاريخي والوضعية في تركيب واحد⁽²⁰⁾، وهو بذلك ليس سهلا للقراءة؛ لأن هذا الخليط من الإحساس العام

بالفلسفة المثالية أظهرت كتاباته بصورة غير مترابطة⁽²¹⁾.

موقفه من فلسفة التاريخ السابقين عليه:

انتقد كروتشه فلسفة التاريخ التي شرحها من سبقه قائلاً: إنها بحث عن تفسير متسام؛ أى بحث عما فى التاريخ من خطط ومقاصد غائية، يراد بها كشف خطة العالم⁽²²⁾، وبذلك رفض جميع التفسيرات القائمة على السلاسل العلية للحمية، وأكد أن كل مذهب الجبر فى التاريخ وفلسفته يترك التاريخ خلفه، وأكد أن الجدل يودى إلى إدراك أنه لا يوجد فى العالم شيء ثابت أو دائم، وإنما العالم تيار من الأحداث متصل لا ينقطع، ولذلك انتقد هيجل؛ إذ أكد أن فلسفته كلها فى التاريخ خطأ من أفدح الأخطاء⁽²³⁾، وأن إدراك الضرورة يتم فى تركيب المختلفات، وليس باجتماع الأضداد كما قال هيجل، وأن هيجل⁽²⁴⁾ خلط بين شيئين مختلفين كل الاختلاف هما: "التناقض" و"التمييز"، وبذلك ميز كروتشه بين المصطلحين وعلاقتهما بالتناقض المنطقى للمدلولات المجردة⁽²⁵⁾، وذلك برغم إعجابه بهيجل.

وفى كتابه "المادية التاريخية واقتصاد كارل ماركس" الذى صدر عام 1914م، انتقد جدلية ماركس، والعامل الاقتصادى، مؤكداً أنه ينتسب فعلاً إلى الفكر "الحياة التى تكون فكراً، فهى إذن حياة الحياة"⁽²⁶⁾. ويضيف كروتشه منتقداً جدلية هيجل التى أخذ ماركس بجزء منها: "إن قول هيجل - وكما يعرف ماركس تماماً - إن أفكار الإنسان حسب فلسفة هيجل التاريخية وعكسها، لا تعطينا مقولة عن الأفكار التى تنشأ وانعكاساتها فى الواقع المادى، إن ذلك يبدو مقولاً من ناحية منطقية، وهو يوحى بأن التاريخ ليس عملية من الأفكار"⁽²⁷⁾، ولكنه قبل ما جاء به هيجل من أن كل الحقيقة عقلية⁽²⁸⁾، وأن الفكر التاريخى هو أعلى وأوثق من أى فكر آخر⁽²⁹⁾.

وهو بذلك يؤكد أن لا أحد يستطيع أن يعرف تماماً الحقيقة التاريخية، وأشار بذلك إلى تولستوى وأنه جاء بفكرة من عقله عن نابليون ومعركته، ولكن لا أحد يستطيع أن يعرف ما حدث فعلاً بما فيهم نابليون نفسه⁽³⁰⁾، وكان نقده للماركسية مدفوعاً بأعمال نقدية لـ (لابريولا)، وكان يؤكد أنه يجب ألا تعد الماركسية فلسفة للتاريخ، وأنه كان مؤسفاً لتقديمها بوصفها مذهباً مادياً، وهى فقط طريقة هدفها أن تطرح تفسيراً للتاريخ⁽³¹⁾.

وانتقد أيضاً التاريخية ابتداء من جوته ورائكه وديلتاي وفيكو، ثم العقل النير لدى هيجل⁽³²⁾، كما وجه نقداً قاسياً للفلسفات المادية والعنصرية القائمة على تمييز الأجناس، وتصنيف الشعوب والأخلاق والفضائل وغير ذلك، ورفض

كذلك فلسفة الخير والشر التي قالت بها الأديان السماوية والشرقية، قائلاً إن ههنا تتحد الأسطورة بالدين وفلسفة التاريخ، وكان قاسياً تجاه الفلسفة الطبيعية متأثراً بهيجل، وهاجم الأسطورة، وشدد على أن التاريخ واقع إنساني وعقلي لا خرافي وأسطوري⁽³⁴⁾.

"التجريح" التاريخي لدى كروتشه:

يعرف كورتشه "التجريح" التاريخي (HISTORICISM) أعلى مراتب التحديد⁽³⁵⁾، وهو يرى أن "المعرفة التاريخية هي كل المعرفة"⁽³⁶⁾، ومن ثم فإنه يرى "أن الحياة والحقيقة هما التاريخ والتاريخ وحده"⁽³⁷⁾، وبذلك اهتم بالدراسات التاريخية⁽³⁸⁾ حسب الوقائع وتسلسلها الزمني، وفحص السجلات التاريخية، وتجميع المادة التاريخية، وأضاف أن الحالة المثالية في الحياة العقلية هي أن يتمكن المؤرخ من مشاركة الآخرين الذين يدرسون المفاهيم التي وصفهم هو بها في وضوح تام، من خلال أفكارهم الخفية، وبإعادة كتابة التاريخ تتضح الصورة باستمرار⁽³⁹⁾.

ويدلل كروتشه على نظريته بإبراز مسوغات؛ منها أن التراث المنحدر إلينا غير حقيقي، وضعيف، ومربك ومثير للجدل أيضاً، ونحن من ثم نعرف القليل الذي يفترض أن نعرضه للنقد (التجريح) التاريخي⁽⁴⁰⁾؛ ولذلك فإنه دعا إلى أن يتميز التاريخ عن بقية العلوم، لأن التاريخ معروف بالحقائق التي يستخلصها المؤرخ وليس كابوساً متراكماً، والحقائق لا تستخلص إلا بعملية استبطان تاريخية جوهرية تستغرق في الحياة العقلية والروحية⁽⁴¹⁾.

والتاريخ بالنسبة إليه فعالية معنوية وراقية، تحصل فحواه في لحظة من الزمن، ولا يتم الحصول عليه، لأنه كلما حصلت على هذه اللحظة يكون هناك مشروع جديد يتشكل⁽⁴²⁾، وعرف التاريخ بأنه فن دقيق لا بد له من قواعد للنقد تنطبق عليه؛ لأن الفن لا يمكن أن يكون هناك علم فيه إذا كان بشكل مفرد أو جزئي⁽⁴³⁾.

وتشدد في موضوع التاريخ، وعد كل حكم حكماً تاريخياً⁽⁴⁴⁾، ودافع بصورة واضحة عن النظرية المثالية في المعرفة التاريخية التي تبنتها المدرسة الألمانية⁽⁴⁵⁾.

التاريخ تاريخ معاصر:

يرى كروتشه أن واجب التاريخ أن يروى الحقائق⁽⁴⁶⁾، وكان من أكثر

الفلاسفة تطرفاً واهتماماً بالنزعة التاريخية التي يرى فيها أن التاريخ هو الحقيقة كلها، لا منطقة محددة من مناطق الحقيقة، وصاغ من ثم فكرته القائمة على أن التاريخ كله تاريخ معاصر⁽⁴⁷⁾؛ يقول كروتشه: "إن حاجة الإنسان إلى الحوادث الماضية تدفعه إلى النسيان والتخلص من آثار هذه الحوادث، والتركيز فقط على النقاط المحددة التي ترتبط بعلاقة مع مشكلات لها علاقة بالحياة الحاضرة، وفي التاريخ المعيش (Active History) أو التاريخ المعاصر (Contemporary History)، وهذا ما تفعله الروح في تطورها".

بذلك صور كروتشه التاريخ بأنه بعث التجارب الماضية في ذهن المؤرخ، وقال إن كل تاريخ هو تاريخ فكر أو كل التاريخ هو تاريخ معاصر؛ وهو تفسير ذرائعي (Pragmatic) للتاريخ؛ لأنه يعني أن الماضي ميت إلا حين يتحد باهتمامات الحياة الحاضرة⁽⁴⁹⁾، وإذن "فالحقيقة الماضية لا تجيب اهتماماً ماضياً. بل تستجيب لحقيقة حاضرة بقدر تمثلها باهتمام في الحياة الحاضرة. وبذلك فإن المعاصرة بالنسبة إلى كروتشه يمكن أن توضع فقط لذلك التاريخ الذي يقع قريباً جداً من الحدث الذي أصبح منجزاً، وظروف ذلك الحدث، من أجل توظيف المعاصرة، من ثم فإن التاريخ الذي نظرنا إليه على أنه غير معاصر أو ماضٍ ولكن وجد ثانية أنه ليس وعاء فارغاً، فإنه يعد من جديد تاريخاً معاصراً⁽⁵⁰⁾؛ لأنه أثر فينا أو أننا أعدناه إلى الحياة ثانية في أذهاننا بوصفه فكراً.

ويؤكد كروتشه مرة أخرى أن الروح التي تعيش تاريخها بدون روايات ووثائق، والتي يمكن أن تعمل هي نفسها هذه الأعمال لتؤكد حرصها على سجلات الماضي وهذا الإلمام بروحه وسجلاته هي بيانات تاريخية تتخذ للتمييز بين التاريخ والأخبار، والسجلات هي أخبار مفيدة قد تكون تاريخاً في الوقت المناسب⁽⁵¹⁾.

وبذلك ميز كروتشه بين المعاصرة الدائمة والسرد التاريخي للحوادث في إطارها الزمني. ويستخلص حسين مؤنس من ذلك أن التاريخ حي بالنسبة إلى المؤرخ أو إلى أبناء العصر، وميت بالنسبة إلى غيرهم⁽⁵²⁾. في حين يستنتج أرنست كاسيرر أن فكرة المعاصرة "تؤدي إلى التماثل التام بين الفلسفة والتاريخ، وأن فوق منطقة التاريخ الإنساني ومن ورائها لا توجد منطقة وجود؛ أي "لا يوجد موضوع يتخذه الفكر الفلسفي مادة له"⁽⁵³⁾.

وينصح كروتشه من يعجز عن أن يتعايش مع العصر أو الفرد الذي يؤرخ له ألا يصبح مؤرخاً؛ إذ تعوزه البصيرة التاريخية، وأن الحرية هي المبدع

الأبدى للتاريخ، فهي نفسها موضوع كل التاريخ، وأن "الأحداث التاريخية هي الموضوع في إطار تطور"، ويضيف إلى ذلك قوله: إن حلول الإنسانية في التاريخية، لا يمكننا من اختراق اتجاهها العاطفي الضروري وفهمها فحسب، وإنما كذلك للدور الذي لعبته في العقل الأوروبي، وكذلك أغلقنا الباب على الاستخدام السيئ لها⁽⁵⁴⁾.

لذا حاول كروتشه أن يجيب من خلال اهتماماته التاريخية واللغوية وفلسفته عن مجموعة من الأسئلة التي أثارت في القرن التاسع عشر، وأخذت مركز الصدارة في نقاشات العلوم الإنسانية في أوائل القرن العشرين.

وبلاحظ أن كروتشه طور فكره من خلال الاستجابة للمستجدات، خاصة التحديات الدينية ذات الأولويات الثقافية العامة، والتجربة الفردية الخاصة، وشعر أن هذا التحدي هو تحد تاريخي؛ لذلك صورته على أنه مهمة لجيله؛ بأن يبدل الدين القديم الذي استند إلى أساس لاهوتي.

وأصر كروتشه أن العلم، وهو ضروري في مجاله؛ يعد مادة خام تعطى تعميمات جاهزة ردًا على أسئلة يطرحها الناس؛ وكان تساؤله: كيف لنا أن نصوغ مواصفات لهذا العالم الذي ورثناه؟ وما حالة الاستجابة الفردية والثقافية التي يمكن أن نصل إليها في هذا العالم؟

بهذه الأسئلة ومحاولة الإجابة عنها يبدو كروتشه رائدًا في جهد موصول للتفكير في الوضع الإنساني، وإنهاء التفكير الماورائي، والتخلص من التسامي (التعالى)؛ وأكد أن التحدي من منظوره يتطلب العمل من دون ردات فعل غير عادية، تجاه العدمية أو العقلانية أو الانغماس الذاتي أو الذاتية.

الروح:

لقد وطن كروتشه مفهوم الروح من التراث المثالي؛ وأصبح هذا المفهوم على يديه مفهومًا جذريًا وأساسيًا للفعل التاريخي؛ وقال إنه من خلال الإحساس بأن الروح ليست سوى (نحن)؛ فإنها لا تعمل بدوننا أو خارجًا عنا تاريخيًا؛ وأنها هي التي تميز الكائنات الإنسانية؛ وإن الجميع مشتركون في الروح العامة من خلال فرديتهم، والجميع مشتركون في العملية الإبداعية التي يصوغها العالم بصورة مضطربة؛ وتتحد إيلنا من خلال الزمن (التاريخ)، وكل فرد هو مبدع؛ ولكنه مبدع من خلال التفاعل مع الآخرين، ومن خلال الاستجابة إلى مخرجات التاريخ؛ أو بعبارة أخرى للفعالية الشاملة للروح، ومن خلال هذا الشعور فإن الإبداع في العالم هو مهمة فوق شخصية⁽⁵⁸⁾.

والعامل الإنساني هو شخصية عالمية، وحالة عند كل الأفراد؛ لكن لأننا نستجيب جميعاً للعالم الذي نتج عن فعالية الروح؛ فإن هذه الروح هي التاريخ نفسه، إن العالم بالنسبة إلى كروتشه هو حادث ومخلوق واحد وتاريخ محدد ترتبط به.

لكن كروتشه وجد أنه من الضروري أحياناً تأكيد أن صناعة العالم هي بالتأكيد مهمة الروح العامة؛ وأن الروح هي مجرد عامل؛ لكن ذلك لا يعني أننا بوصفنا ممثلين أفراداً مجرد ظل منسوخ عن الروح العامة. ولشرح ذلك فإنه قال: إن علينا ببساطة أن نربط الأفراد بالتطور العام، وأنه مع تأكيد العوامل العامة، ووزن أفعالنا ذات الأثر الباقي التي نقوم بها؛ لا أن يقعد كل منا وينتظر اللحظة القادمة؛ وإن كان هذا الخيار شكل من أشكال الفعل؛ إذا كان بشكل واسع مرتبط بالظروف الاجتماعية.

الليبرالية الجديدة (الحرية):

برغم أن كروتشه ترك مساحة للاستجابة العملية للفرد اتفاقاً مع مصالحه، ويمكن أن تُوَطر استجابته العامة؛ فإنه أكد أننا يجب أن نحدد اتجاهنا بالقول إن كل فعل تاريخي هو فعل حر، وإبداع لعامل أخلاقي، وإن الإنسان يبحث عن الاستجابة الأخلاقية الخلاقة من خلال محاولته فهم ماذا حدث؟

ومع أنه بقي يميز بين النظرية والتطبيق، والمعرفة والفعل، والسياسة والأخلاق، وكان حذراً في نفعيته؛ فإنه اقترح فهماً جديداً للحرية في مواجهة الفاشية والأفكار الكلية؛ ولم يهتم كثيراً بحماية الخصوصية الفردية لضمان قوة الدولة؛ على أساس أن الفرد مرتبط كلياً بالتاريخ وصناعة الفعل التاريخي؛ ولكل فرد اهتمامه المفضل في جزء من العالم، وأن النظام السياسي يحتاج إلى استدعاء استجابات جميع الأفراد تجاه الوضع الحالي، وأن الكل مشتركون في المستقبل ليصوغوا عالمهم المحدد في التاريخ⁽⁵⁹⁾.

إن ليبرالية كروتشه الثقافية اعتمدت على التفريق بين الفكر والعقل، وبين العام والخاص، وهي لا تتوخى العدالة مع ما هو أصيل، ومعنية بخاصية وتنوع الاستجابة الأخلاقية الفردية، وهكذا فإن كروتشه دعا إلى التفكير بعمق أكثر فيما يتصل بالفعل السياسي الفردي؛ وما تأكيده أن المعرفة والعمل لا يأتيان معاً؛ فإن ذلك يجعل التجربة الفردية حرة بالضرورة بوصفها حالة مفردة وبإحساس مبدع، ولذلك قال: إن (دين الحرية) متعذر كبه؛ لأنه مبني على الفعل المبدع الحر للإنسان، مضيقاً أنه ليس مهماً ما يركز عليه الناس من قوة؛ لأن الناس يعملون فرادى، ولا يعرفون ماذا يحدث وهم يعملون؛ فإن هناك إحساساً بأن التاريخ نفسه هو وكيل العالم؛ وأن الناس يتشاركون العمل في وكرالته⁽⁶⁰⁾.

وبذلك قدم كروتشه عاملا مهما للعقلانية، من خلال تأكيده أن مجال الفهم التاريخي هو الذى يهيئ للفعل. وفى رده على معاصره جنتيله الذى أيد الفاشية والذى قال إن الإنسانية ليست حرة ومسئولة؛ لأنها لا تعرف ما الذى تفعله أو ما الذى يجري؟ بين كروتشه أنه برغم أن الناس يعملون بصورة جمعية، وبرغم اختلاف أولوياتهم للوصول إلى حالة الدولة، وبرغم التغير المستمر فى العالم من خلال الأفعال الإجمالية للأفراد وبميزان الالتزامات المتواضعة والتعددية والتسامح لهؤلاء الأفراد؛ فإن هذا المفهوم لا يفرز الإحساس بالعبث أو الاختلافات السياسية. لذلك فإن الليبرالية، بحسب كروتشه، ظهرت - فى إيطاليا - فى مواجهة الفاشية، وأكدت الجدل السياسى فى خلال الأربعينيات فى إيطاليا لبدء مرحلة سياسية جديدة.

وبرغم القبول الواسع الذى حظيت به أفكار كروتشه؛ فإن نقدا وجه إليه لأنه تجاهل العامل الاجتماعى - الاقتصادى، وعدم التكافؤ أو فقدان العدالة⁽⁶¹⁾.

وتبدو ليبرالية كروتشه على أنها تعنى شيئين هما: التعددية وعدم المساواة؛ ووجهة نظره أن الليبرالية مفهوم للحياة وإعطاء مساحة إنسانية. ومن ناحية السياسة الحكومية فإن كروتشه أكد أن النظام السياسى يكون ليبراليا إذا خرجت السلطة من القاعدة إلى السطح؛ من العامة إلى النخبة، وأن هذا المفهوم يتعارض مع الأوتوقراطية، لكنه متميز وليس متعارضاً مع الديمقراطية⁽⁶²⁾، وفسره بأنه مفهوم لا يمكن قبوله بدون قبول بقية إطاره العام ومنها الترتيبات المؤسسية للنظام الاقتصادى التى يجب أن تقلل فيها الدولة من تدخلها فى القرارات الاقتصادية، وقد ميزه عن الأخلاقيات السياسية بتسميته إياه بـ "Liberismo"، ويمكن ترجمته بأنه الليبرالية الاقتصادية.

لكن كروتشه عارضها على إطلاقها؛ وذلك لسببين: الأول أن الليبرالية الاقتصادية مبدأ عام لا يمكن أن يعطيها مواصفات محددة، ويمكن أن نبين من خلالها متى وكيف وبأى قدر يمكن أن تتدخل الحكومة فى القرار الاقتصادى. والآخر: أن الليبرالية الاقتصادية تستند إلى المبادئ السياسية الأخلاقية الليبرالية التى وجد كروتشه أنها ليست مطلقة.

لذلك ميز كروتشه بين الليبرالية فى السياسة والليبرالية الاقتصادية، وأنه سياسياً يجب ألا تمتلك قوة واحدة أو مؤسسة أو طبقة قوة مطلقة، ودعا إلى التعددية الوسطية التى تعتمد على حكم الأغلبية السياسية التى تشكل الحكومة، وتطبق القانون العام بحزم وبمنطقية.

ولاحظ كروتشه أيضاً أن مبدأ المساواة السياسية غير منطقي، ووجد أنه غير

صحيح؛ لأن الأفراد الذين يشكلون الدولة إذا كانوا متساوين فإنه لا حاجة لأحدهم إلى الآخر؛ ومن ثم فلا حاجة إلى الدولة، وأن ذلك يلغى الدولة أو الحكومة التي نعرفها، وفي حال المساواة فإنه لا وجود للتنوع⁽⁶³⁾.

لكن كروتشه لم يحاول تقييد دور الدولة في تحقيق العدل؛ وبين أن ردة الفعل الفردية لتحقيق العدالة هي فعل حر، وأننا من خلال ردود فعلنا المستمرة نبحث عن وجود العدالة أو عدم وجودها في ظروف تاريخية محددة. لكن كروتشه شعر أننا في المستوى النظري يمكن أن نعد القواعد والمواصفات، أو ما يعد حرية وعقلانية؛ وأن دراسة ذلك تخضع للحوار في ظل الأوضاع التاريخية، مؤكداً أنه في النهاية فإن التاريخ هو الحكم؛ قائلاً: "إنني لو أصبحت دكتاتوراً للعالم وأستطيع تنفيذ رؤيتي؛ فإنني أفضل أن أخضع إلى حكم التاريخ؛ إنه نتائج ردود أفعالي مع الذين يخالفونني"⁽⁶⁴⁾.

وأضاف كروتشه أن المشاركة الاجتماعية يجب ألا تفهم على أنها انتشار فكرة بصورة متساوية إلى جميع الأطراف؛ وتلقى استجابة متساوية من الجميع. إن النظرية الليبرالية لا تستطيع أن تجعل من الرجال سياسيين ضد طبيعتهم، وضد طبيعة الأشياء؛ ومن ثم فإن المساواة السياسية هي مثالية وافترض غير واقعي وغير تاريخي وتجريبي يستند إلى وجهة نظر غير حقيقية عن الطبيعة الإنسانية⁽⁶⁵⁾.

وفي المقابل لاحظ كروتشه سيادة أفكار أو طروحات أو قوى سياسية على الأوضاع العامة السياسية للمجتمعات، وأن هذه المجتمعات تصوغ أطراً عامة لفعاليتها السياسية والاجتماعية من خلال الإجماع.

وأوضح كروتشه أن الإجماع هو دائماً مرحلي، وأن عملية تحقيق الإجماع تقوم على النقد وعدم الموافقة، وهي عملية مستمرة. وكانت تاريخيته قائمة على تجربة التغيير الاجتماعي، وهي دعوة إلى استمرار النقد والفعل. وكان التحدي هنا بالنسبة إليه هو أن يبين لماذا؟ وكيف لنا أن نسير بالقليل من الثقة والعقلانية في عالم سوداوي؟ ولنعرف هذه الليبرالية الجديدة فإننا يجب أن نفهم القدر بوصفه عاملاً في التاريخ، إن القدر ليس أعمى أو غير عقلاني بحسب كروتشه، وأنه من خلال البحث عن الحقيقة والتجريح التاريخي فإننا نحصل على الفهم الذي يحضر للفعل معززين أرجحية الفعالية، وأن ما نحتاجه للفعل هو حالة الليبرالية الجديدة، وهي التي ليست فقط تهذيباً للخيال، ولكنها بحث عن الحقيقة⁽⁶⁵⁾.

ويخلص كروتشه إلى أن أكثر ما يمكننا أن نفعله هو أن نبقي أحراراً، ونؤمن

بالتعددية والمؤسسات الديمقراطية، وأن نؤمن بمخرجات هذا التفاعل الذى نسعى من خلالها إلى تجديد الإجماع المرحلى من خلال التسامح والحريات الواسعة.

إعادة التفكير:

إن العالم بالنسبة إلى كروتشه هو منتج تاريخي، وفعالية هذا العالم ومجال الفردية فيه تعزز من خلال التناغم معها بوصفه يتضمن وظيفة، ويساعد على تشكيلها؛ ومن ثم فإن أعمالنا تهدف إلى البقاء؛ ولأننا جزء من هذا الكل فى التفاعل المتبادل المعقد؛ فإننا ننتج اللحظة التالية التى ستصبح الأساس للحظات القادمة؛ مع تأكيد خلود الفعل، والوزن التراكمى لأفعالنا التى لا تنتهى لصناعة مستقبل عالم محدد.

وفى الوقت الذى نهتم فيه بالعالم ونشعر بالمسئولية تجاهه؛ فإننا نريد لعملنا أن يبقى ويؤثر فى مصير العالم، ومن ثم فإنه ليس كافياً أن ننق بالفعل أو الإبداع الذاتى، ولكن علينا فى الوقت نفسه أن نعمل من خلال ثنائية منهجية، وأن نفهم تطور العالم المبنى على الاستجابة الإبداعية للأفراد، فى الوقت الذى يوجد فيه عظماء غير فعالين، وذلك ناتج عن الاستعداد⁽⁶⁶⁾.

ولمعرفة أن عالمنا ناتج عن مجموعة من أفعال الذين سبقونا، ونحن نرث تراثهم التراكمى؛ فإن على كل منا أن يقوم بواجبه: لنلنقط ونوصل؛ من خلال أفعالنا الحاضرة العالم الذى ورثناه بعالمنا، ومن خلال هذه الشراكة فإننا نستشعر بأنفسنا أننا مجبرون على استخدام تراثنا بصورة حسنة؛ وأن مسئوليتنا عن العالم الحاضر تتطلب الحاجة إلى المعرفة، ومجال المعرفة يعنى أننا نحتاج إلى أفعال ليست سهلة من أجل الأفضل؛ ومعرفة لا تعنى أننا نعرف ما الذى سيحدث أو ما الذى سيحدث لما سنفعله؛ لذلك نشعر بالقلق حول كيفية دخول أفعالنا للتاريخ، لأننا سنوصل أفعالنا إلى غرباء فى المستقبل، وهم لا يعرفون ما الذى سيفعلونه به.

ومع ذلك فهناك لحظات مظلمة فى الأقدار الحادثة، تبدو فيها جهودنا عبثية أو سيئة؛ وذلك لأننا نخاطر من خلال نزوات التاريخ⁽⁶⁷⁾؛ ولذلك يقول كروتشه: علاقتنا بالتاريخ مضحكة، والاستجابة المطلوبة هى الفائدة الثقافية للأدب فى تعارضه مع التاريخ. ومن خلال تأكيد أن التاريخ فكر وعمل، فإنه أسس لأرضية ثقافية جديدة متوسطة⁽⁶⁸⁾، مظهراً كيف أنه فى إمكاننا أن نعمل من خلال روح إنشائية (بنائية)، وليس من خلال العودة إلى الوراء، بدعوى فائدة سلطوية كلية.

لذلك فإنه بالنسبة إلى كروتشه فإن كلا منا مشارك؛ ولكن من الأهمية بمكان أن يكون هناك مجال للتعاون، وذلك لأن العالم تعاد صناعته بصورة لا متناهية نتيجة لأفعالنا. وبالرغم من أن المجتمع قد يرغب في اتباع مقولات دارسى العاديات (الآثاريين)، وهو بذلك يحد من الدور الثقافي المركزي للتاريخ الذى يقوم على الإحساس الداخلى المسبق بالأحداث؛ وتتابع الاستجابة الأخلاقية - السياسية للأحداث التاريخية، تنقض الحتمية التاريخية؛ وهناك نوع من النسبية موروثة فى وضعنا الثقافي، لكننا نشخصه بوصفه مشكلة فحسب، فى حال استمرارنا فى التفكير فى نماذج، وعلى أساس أنه معرفة مطلقة، ولذلك رفض كروتشه أية مواصفة؛ فى الوقت الذى قبل فيه التاريخ على أنه الحقيقة الوحيدة، داعياً إلى أن يحمل كل منا مشكاته لإضاءة جوانب مختارة منه.

موقفه من فلسفة التاريخ:

يميز كروتشه بين ثلاث مراحل فى دراسة الماضى التاريخي: الفيلولوجيا (الاشتقاق)، ثم التاريخ المكتوب القابل للتعميم من خلال الشواهد المادية ثم الفلسفة⁽⁶⁹⁾، وقسم الأحكام التاريخية إلى نوعين: الأول؛ الأحكام التعريفية التى يكون فيها الموضوع المحمول ضمن تصورات كلية، والآخر؛ أحكام الإدراك الحسى (الأحكام التاريخية) حسب كروتشه، وفيها يكون الموضوع فردياً جزئياً يصفه المحمول الكلي⁽⁷⁰⁾.

ومن ثم فإن كروتشه ناقش صلة التاريخ بالفن، ثم بالفلسفة، فى محاولة منه لتأكيد استقلال التاريخ عن العلوم الأخرى، وعن الفلسفة كذلك، ثم تناول التاريخ وفلسفته فى غير واحد من كتبه⁽⁷¹⁾، ويقول هو نفسه: إن "الأحكام التاريخية ليست معرفة متنوعة، ولكنها المعرفة نفسها، إنها النموذج الذى تعبأ فيه، ويستغرق مجال المعرفة، وعدم إبقاء فى حجرة لأى شيء آخر فى مجال الحقائق، كل المعرفة الأولية التى جمعت فى نسق من الحكم التاريخي تخرج إلى الحياة، وإلى الفعل بعلائم الوقفة والمشاركة: وهى بفعاليتها تقطع أى عقبات فى اتجاه نظرة واضحة للوضع الذى كان"⁽⁷²⁾.

بذلك كان كروتشه من نقاد المعرفة الإدراكية التاريخية، وعد الفلسفة منهجية (Methodology) للتاريخ؛ إذ إن التاريخ العادى يتضمن فلسفة فى داخله، ويقول هو نفسه فى هذا المجال: "فى حالة التحقق من الحقائق فإنه ليس أقل صحة بأن الحتمية التاريخية دائماً تنتج فلسفة التاريخ، وأن تطور الفكر قد فتح الطريق لعدة محاولات فى خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، فى محاولة لإيجاد نوع من فلسفة التاريخ، أو محاولة إيجاد قوانين عامة عالمية، ومفاهيم، من خلال التاريخ؛ لكن لهذه الغاية فلا بد من التحقق من الأحداث الأولية كما

هي، ثم استخلاص قوانين ومفاهيم تاريخية منها" (73).

لذلك فإن كروتشه قبل بارتباط الحوادث وتسلسلها وبأهمية اكتشاف الأسباب الحقيقية للواقع التاريخي، والعلية في التاريخ، ورفض القول بالصدفة أو العناية الإلهية أو العفوية التاريخية⁽⁷⁴⁾، في حين أكد أن إعادة اكتشاف العلاقة الحدسية بين التاريخية والإحساس بالحرية والإنسانية في إطار توافقى للجانبين النظرى والعملى ينتج معرفة تاريخية أفضل⁽⁷⁵⁾؛ لهذا الغرض أدخل روابط علمية بطريقة نفعية، "لأنها لسيت صحيحة أو خاطئة، ولكنها مفيدة؛ تشبه المفاهيم العلمية"⁽⁷⁶⁾.

وبرغم إدراكه أن فلسفة التاريخ كما فهمت واستخدمت في القرن الثامن عشر بأنها "الاعتبار" من التاريخ⁽⁷⁷⁾، وأن ذلك كان تأملات عامة حول التاريخ وفلسفة التاريخ، أخذت طابع الأفكار العامة أو العموميات⁽⁷⁸⁾، فإنه سعى لتقديم فى التفسير الفلسفى والنقدى للتاريخ من خلال مقارنة الفلسفات المادية والإيجابية فى التاريخ، واستبعد النظرة الطبيعية التى لا تقيد "لخصوصية ما هو تاريخى ولفرديته"⁽⁷⁹⁾، "ورفض كل نوع من العلو (التسامي) البعد تاريخى، وأكد الهوية بين العقل والروح، والتاريخ، ورد المعرفة إلى معرفة تاريخية، ورد الفلسفة إلى لحظة منهجية فى التاريخ"⁽⁸⁰⁾، لذلك تميزت فلسفته التاريخية بتعريفه للفلسفة بأنها فلسفة العقل والروح، وليست فلسفة الطبيعة المادية، وعرف العقل بأنه الوجود التاريخى بذاته، والديالكتيكى فى الوقت نفسه⁽⁸¹⁾، وأنه من خلال المواعظ المتعددة فى الأدب هناك أعمال صنفت على أنها فلسفة وليست تاريخاً؛ لأنها تظهر معالجة لمفاهيم نظرية تجريدية تلغى عناصر الحدى⁽⁸²⁾.

لذلك اعتقد كروتشه هو نفسه أن "فلسفة الفن، إذا أحسن تدريسها، كانت خيراً من أى موضوع آخر، بوصفها مقدمة لدراسة الفلسفة"⁽⁸³⁾.

واعتقد كروتشه بوصفه فيلسوفاً اتبع خطى هيجل، وقال بأن كل الحقيقة عقلية، وكل ما هو واقعى عقلي، والعلم الوحيد الذى يستحق اسم الفلسفة هو فلسفة العقل، مؤكداً أن "فلسفة المنطق هى تصحيح العلوم الطبيعية التى تعتمد مواصفات تعسفية"⁽⁸⁴⁾، كما يصر على أن بين اللغة والفن تطابقاً كاملاً، فضلاً عما بينهما من علاقة وثيقة، وأن التمييز بين هاتين الفعالييتين ضرب من التعسف أيضاً⁽⁸⁵⁾.

وقد لاحظ كولنجوود (وهو أحد معجبيه من الفلاسفة) أنه حتى فى مؤلفه الفلسفى الضخم (Aesthetic) الذى كتبه فى البدايات (1902م)، أكد أن نظريته

الأولى للتاريخ هي أنه يقص علينا الأحداث⁽⁸⁶⁾، على أنه طور فكرته عن التاريخ بخروجه على الفلسفة الطبيعية، ليخلص إلى نتيجة أن كل فيلسوف هو في الوقت نفسه مؤرخ⁽⁸⁷⁾، وبرغم اصطناعيته فإنه لا يصل إلى عمومية القانون المتواتر⁽⁸⁸⁾، وأن الحركة الوضعية في التاريخ أخذت الصورة المقلوبة للحركة الميتافيزيقية، وهي في الحالتين تتضمن شيئاً من الصدق؛ إذ إن الميل إلى الانتقال من رواية بسيطة غير علمية إلى وقائع معينة من خلال دراسة متماسكة لهذه الوقائع يعد ميلاً سليماً⁽⁸⁹⁾.

ولما سبق، ومن خلال الأساس المنطقي للنظام الفلسفي لدى كروثشه الذي هو القول بمذهب منسق في التصورات، ونظرية في التركيب الجدلي القبلي؛ فإنه ابتكر الحدسية التي موضعها الأساس الجزئي أو الفردي⁽⁹⁰⁾، وبذلك لم يعزل العقل أو الروح عن التاريخية، بل أعطاها بعداً دياكتيكياً وتاريخياً بصورة جديدة تربط بين الحادثة الفردية وقانون عام يصدق على الأحداث جميعها⁽⁹¹⁾.

ومع الاعتراف به بوصفه فيلسوفاً ومؤرخاً؛ فإن انتقادات وجهت إلى فلسفته الرئيسية المتعلقة بالروح أو العقل، وكثيراً ما قيل إن كروثشه ينقصه الوضوح أو الدقة الذهنية، أو أن التزامه بالتأنيق في عبارات لغته أفقدها شيئاً من العلمية⁽⁹²⁾.

ومع ذلك فقد طور فلسفته القائمة على المعرفة التاريخية، ليخلص إلى أن الهوية الواحدة للتاريخ والفلسفة تمنع أية (فلسفة للتاريخ) من أن تكون شيئاً آخر غير التاريخ⁽⁹³⁾، وأن فلسفة التاريخ تعمل من خلال التقسيمات الرئيسية أو الفرعية التي تشكل المجموعات التاريخية، لذلك فإنها - بحسب كروثشه - لم تعد تفكيراً أصيلاً أو أولياً في التاريخ، لكنها تتعامل مع ما هو موجود فعلاً على أنه مخرج متعدد ومقدم في عناوين وشروحات تستخدم عادة بوصفها أصولاً⁽⁹⁴⁾.

وكما رفض التفسير الميتافيزيقي، وللعناية الإلهية كذلك رفض الحتمية التاريخية بوصفها فلسفة للتاريخ؛ لأنها تترك الحقيقة خلفها، لذلك رفض السلاسل العلوية من الحتمية، والتصور التوحدي للتاريخ الذي يمثل شكلاً من المفارقة التي كان يحاربها⁽⁹⁵⁾.

وخلص كروثشه إلى أنه يميز بين التاريخ ورواية الأخبار التي عدها تاريخاً ميتاً، ومحض سلوك عملي؛ لأن التاريخ الحق بالنسبة إليه مسألة نظرية؛ على أساس نظريته القائلة بأن التاريخ الحق هو التاريخ المعاصر⁽⁹⁴⁾، وأنه عند الحديث عن التاريخ يجب ألا نستخدم كلمات مثل التناقض أو التناظر، وقضية الجمع بين قضيتين أو التوفيق بينهما، فكيف يمكن أن نقول إن الاستبداد والحرية هما نظريتان سياسيتان متناقضتان! إن ما يجب قوله أن القضيتين مختلفتين، ولا

ينبغي لنا أن نتحدث عن تناقض⁽⁹⁷⁾.

وقد قسم الفلسفة إلى طرائق نظر؛ هي:

أولاً: التركيب الاستطيقى الذى يرى أنه ليس هناك مفهومات بدون حدوس.

ثانياً: التركيب المنطقي: إذ يتوحد التصور الكلى مع الحكم، والحكم التاريخى حكم جزئى، لكنه يحتوى أيضاً على محمولات كلية، كما أن موضوعه هو العام أو الكلى، ويؤكد التوحيد التام بين الفلسفة والتاريخ، عادة التمييز بينهما هو الذى يؤدى إلى أن الفلسفة هى التى تقوم بدراسة المنهج التاريخى، وهو تمييز مصطنع لأغراض التعليم⁽⁹⁸⁾.

خاتمة:

عرضنا فى هذا البحث المكثف خلاصة لما جاء به الفيلسوف والمؤرخ والناقد الإيطالى كروتشه الذى عاش فى حقبة سادت فيها الفلسفة الوضعية للتاريخ فى معظم أوروبا.

حاول كروتشه أن يفيد من المعارف الفلسفية والتاريخية الأدبية (الفنية) فى عصره، سواء المنتشرة فى إيطاليا خاصة، أو فى أوروبا بشكل عام، فقرأها ونقدها أحياناً وبنى عليها أحياناً أخرى.

ولتعدد معارفه، وإطلاعه، واهتماماته المختلفة، فقد ترك لنا إرثاً ثقافياً مميزاً ترجم من الإيطالية إلى اللغات الحية الإنجليزية والألمانية والفرنسية واليابانية والعربية.

وقد أفادت دراساته معاصريه وتابعيه؛ لأنه انتقد فلاسفة التاريخ السابقين عليه، وأوضح جانب الخطل فى طروحاتهم، كما أنه أثر فى معاصريه نقدياً وفى طروحات فلسفة التاريخ السائدة فى عصره؛ طرح كروتشه فلسفته التاريخية القائمة على أن المعرفة التاريخية معرفة نهائية، سواء كانت حدسية أو منطقية، وأنه لا فرق بين الفلسفة بوصفها نظرة كلية للتاريخ العالمى، وبين دراسة الجزئيات التاريخية التى تشكل إذا درست دراسة نقدية بمجموعها تاريخاً عاماً يمكن استخلاص قواعد عامة منه.

واتفاقاً مع وجهة نظره، فإن ما يهمنى من التاريخ هو ما يفيدنا فى الحاضر؛ لذلك فإن نظرنا للتاريخ مرتبط بالواقع التاريخى المعاصر، ومن ثم فإن كروتشه قال إن التاريخ كله تاريخ معاصر، على أساس أن اهتماماتنا ومعارفنا ومجال نظرنا تنطلق من حياتنا المعاصرة، ونحاول أن تجيب على تساؤلات معاصرة؛

وليس بهدف الإجابة عن أسئلة ماضية، أو اهتمامات ماضوية، والتاريخ لعصر ما هو معاشة هذا العصر.

كان كرونتشه يؤمن - بوصفه مؤرخاً - بالتعامل مع الواقع المعاصر، لذلك فقد شارك في الحكومة الإيطالية، ولكن عندما سيطر الفاشيون على السلطة في إيطاليا تنحى جانباً، متفرغاً لدراساته النقدية ومقالاته في مجلة "النقد" ومعهد الدراسات الإيطالية، متعاطفاً ومنسقاً مع الحزب الحر، ليعود مرة أخرى إلى الوزارة في حكومة تحرير إيطاليا، باذلاً كل جهده في تعزيزه المعرفة العلمية والنقدية خدمة لبلاده، إلى أن توفي في بلدته التي أحبها (بولونيا).

إن فكرة المعاصرة التاريخية: التاريخ بوصفه تاريخاً معاصراً فكرة مركزية عند كرونتشه، رافقت طروحات أوائل القرن العشرين في أوروبا التي دعت إلى التخلص من الفكر اللاهوتي، والكلبانية ونموذجها الفاشية في إيطاليا، ودعا إلى الحرية؛ في الوقت الذي شهدت فيه أوروبا محاولات التوسع الاستعماري لدولها.

وهي دعوة إلى الاستعانة بالتاريخ لإلقاء الضوء على مشكلات معاصرة، من خلال إخضاع التاريخ للتجريح التاريخي الذي يمكننا ليس فقط من أن ندرس حالات تاريخية سابقة ومحددة، ولكننا نستطيع أيضاً أن نرتقي من خلالها بالحس الجمعي أو الروح العامة التي نستطيع أن نرسم طريق المستقبل، ونستشعر بصورة مسبقة أحداثه المستقبلية المهمة من خلال الإحساس الداخلي.

وفي الوقت الذي يمكننا بوصفنا أفراداً كلاً بمشكلاته المحمولة واهتماماته وأدواته وبمنهج تاريخي من إضاعة جوانب من هذا التاريخ، بناء على اهتماماتنا الحاضرة؛ فإننا نستطيع من خلالها أيضاً أن نرسم المستقبل الذي نريد والذي نحن شركاء فيه، وأن نصوغه من خلال الإبداع الفردي الذي يتناغم مع الاحتياجات والاهتمامات العامة ويخدمها، على أن يشكل التاريخ محوراً أساسياً من محاور الثقافة.

وإذا كان - كل التاريخ تاريخاً معاصراً - بحسب كرونتشه؛ فإن التاريخ الذي صوغه، وتبشر به الدول ذات المصالح والسياسات المبنية على الهيمنة، هو اهتماماتها الحاضرة التي تؤسس لمستقبل مشاريعها أو هيمنتها.

وفي المقابل فإن الاستخدام الحسن للتراث يمكن من إضاعة جوانب مهمة من تاريخنا المعاصر، ويشكل لبنة من لبنات المستقبل؛ كما أن التصدي لبعض الطروحات التي تستند في دعواها إلى التاريخ يجب إخضاعها "للتجريح" (النقد) التاريخي وضمن ظروفها التاريخية، في الوقت الذي علينا أن نفهم منها أن هذه الدعاوى اهتمامات حاضرة لمن يستدعيها.

ولعل من المناسب إن نرفع من شأن الحرية والديمقراطية والتعددية التي استخدمها كروتشه في مواجهة الفاشية منذ بدايتها إلى نهايتها، من خلال حياته في إيطاليا، نرفع شأنها في مواجهة فاشية عالمية جديدة.

الهوامش

- 1- Patrick Gardiner, Theories of History, Edited with Introduction & Commentary, By: P.G.I. Oxford University, The Free press of Glencor, Fifth Printing, August 1964, see p.225.
- 2- روني إيلي ألفا، موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، جزآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1992، ص170.
- 3- أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، الطبعة الثالثة 1990م، ص28.
- 4- Patrick Gardiner, op.cit. p 225
- 5- روني إيلي ألفا، مرجع سابق، ص171.
- 6- أم، بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ترجمة: عزت القرني، سلسلة عالم المعرفة، رقم 165، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت، أيلول 1992م، ص129.
- 7- انظر: المرجع السابق، ص128، وأفت الشيخ: تفسير مسار التاريخ، نظريات في فلسفة التاريخ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، طبعة عام 2000م، ص183.
- 8- جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، الفلاسفة والمناطق - المتكلمون اللاهوتيون - المتصوفون، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، أيار، 1987م، ص482. وقد ذكر رأفت الشيخ، مرجع سابق، ص183، أنه ألف حزبا سياسيا عام 1943م سماه الحزب الحر، ولم نجد ما يؤيد ذلك.
- 9- رأفت الشيخ، مرجع سابق، ص183، وكذا: جورج طرابيشي، مرجع سابق، ص483.
- 10- حسين مؤنس، التاريخ والمؤرخون، دراسة في علم التاريخ وماهيته وموضوعاته ومدارسه عند أهل الغرب وأعلام كل مدرسة وبحث في فلسفة التاريخ، ومدخل إلى فقه التاريخ، دار الرشاد، القاهرة، الطبعة الأولى، 2001م، ص179.
- 11- ترجم إلى لغات عدة، انظر بوشنسكي، مرجع سابق، ص129.
- 12- المرجع السابق، ص128.
- 13- أحمد صبحي، مرجع سابق، ص128.
- 14- بوشنسكي، مرجع سابق، ص127.
- 15- المرجع السابق، ص128.
- 16- حسين مؤنس، مرجع سابق، ص181.
- 17- رأفت الشيخ، مرجع سابق، ص183.
- 18- بوشنسكي، المرجع السابق، ص129.
- 19- رأفت الشيخ، مرجع سابق، ص184.

- 20- بوشنسكي، مرجع سابق، ص130.
- 21- Patrick Gardner, Ibid, p.225.
- 22- رافت الشيخ، مرجع سابق، ص184.
- 23- روبين جورج كولنجوود، فكرة التاريخ، ترجمة: محمد بكير خليل، مراجعة: محمد عبد الواحد خلاف، الناشر: لجنة التأليف والترجمة، وزارة التربية والتعليم، الإدارة الثقافية، 1961م، ص218.
- 24- بوشنسكي، مرجع سابق، ص131.
- 25- كولنجوود، مرجع سابق، ص218.
- 26- اليان.ج، ويدجري، المذاهب الكبرى فى التاريخ من كونفوشيوس إلى توينبي، ترجمة: ذوقان قرقوط، دار القلم، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، تشرين الثاني، 1972م، ص250.
- 27- Benedetto Croce, Historical Materialism and Economics of karl Marks (translated by. C.M. Meredith and with an introduction by a.b. Lindsay Frank class and Co. ltd. 1966) p.6-7.
- 28- بوشنسكي، مرجع سابق، ص135.
- 29- حسين مؤنس، مرجع سابق، ص181.
- 30- Benedetto Croce, History its theory and Practice, (authorized translation by Douglas Ainlise, New York. Russell, printed in the United State of America, 1960), p.54.
- 31- اليان، مرجع سابق، ص254.
- 32- Benedetto Coce, History as the story of liberty, (translated by. Sylvia sprigged from the Italia la impression 1962. printed in storia laterza and figli, first published in English, in February 1941. fourth Great Britain by Clements newliny and Co. Ltd, wembley. middesex 1962), p.78.
- 33- حسين محمد سبتي، أعلام فلسفة التاريخ، تقديم: ساسين عساف، المكتب العالمى للطباعة النشر والتوزيع، بيروت، 1996م، ص133.
- 34- المرجع السابق، ص134.
- 35- Croce, History, Ibid., p50.
- 36- عبد العزيز الدوري، مقال بعنوان: "فلسفة التاريخ، عرض تاريخي"، منشور بمجلة عالم الفكر، عدد يوليو - أغسطس - سبتمبر 1967م، ص64-84، ص81.
- 37- رافت الشيخ، مرجع سابق، ص184.
- 38- و. هـ. وولش، مدخل لفلسفة التاريخ، ترجمة: أحمد حمدي محمود، مراجعة: محمد بكير خليل الناشر، مؤسسة بحر العرب، القاهرة، مصر 1962م، ص211.

- 39- Patrick Gardiner, op.cit, p.226.
- 40- Croce, History, op.cit, p51-52.
- 41- Patrick Gardiner, op.cit. p226.
- 42- اليان، مرجع سابق، ص253.
- 43- Jerzy posiki; Methodology of History, (Translated from the polih By Olgiered Wojtasiewicz, d. redial. publishing company, Dorlect Holland Boston. U.S.A. Pwn – polish scientific publishers, Warsaw, Poland, 1973),. p134.
- 44- Croce, History, Ibid, p.32.
- 45- وولش، مرجع سابق، ص54.
- 46- عبد العزيز الدوري، مرجع سابق، ص81.
- 47- أرنست كاسيرر، مدخل إلى فلسفة الحضارة الإنسانية، أو مقال في الإنسان، ترجمة: إحسان عباس، مراجعة: محمد يوسف نجم، دار الألسن، بيروت، نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين المساهمة للطباعة والنشر، بيروت - نيويورك، 1961م، ص304.
- 48- Croce, History, op.cit., p 54.
- 49- عبد العزيز الدوري، مرجع سابق، ص81.
- 50- Patrick Gardiner, op.cit., p 226.
- 51- عبد العزيز الدوري، مرجع سابق، ص82.
- 52- حسين مؤنس، مرجع سابق، ص181.
- 53- أرنست كاسيرر، مرجع سابق، ص30.
- 54- أحمد صبحي، مرجع سابق، ص30.
- 55- اليان، مرجع سابق، ص253.
- 56- عبد الله العروي، مفهوم التاريخ، جزئين، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1992م، ج1، ص75.
- 57- Croce, History, op.cit., p 319.
- 58- David D. Roberts, History as Thought and Action: Croce's Historicism and the Contemporary Challenge, Article in: The Legacy of Bendeto Croce; contemporary critical views, Edited by Jack D' Amico, Dain A. Trafon, and Massimo Vedicchio University of Toronto Press Incorporated, Toronto Buffalo London, 1999, see p.200.
- 59- Op.cit., p.201.
- 60- Op.cit., p.214.

- 61- Op.cit., p.215.
- 62- Maurice A. Finocchiaro, Croce & Mosca, Article in: The Legacy of Benedetto Croce; Contemporary critical views Edited by Jack D' Amico, Dain A. Trafon, & Massimo Vedicchio, University of Toronto Press Incorporated, Toronto Buffalo, London, 1999, p.132.
- 63- Op.Cit, p.135.
- 64- David d. Roberts, Op.cit., p.217.
- 65- Maurice A. Finocchiaro, op.cit., p 136.
- 66- Op.cit., p.222.
- 67- Op.cit., p.222.
- 68- Op.cit., p.223.
- 69- Op.cit., p 223.

70- العروي، مرجع سابق، ج1، ص89.

71- عبد العزيز الدوري، مرجع سابق، ص81.

72- Croce, History, Opict., p 64.

73- Benedeto Croce, The Aesthetic as the science of Expression and of the linguistic in General (translated by Golin Lyas, University of Lancaster, Cambridge Univirsity press. Printed in U.S.IST, Published, 1992, p.44-45.

74- حسين سبتي، مرجع سابق، ص134.

75- Croce, History, Ibid, p.79.

76- Patrick Gardiner, Ibid, p.140.

77- Croce, History, Ibid P.140.

78- حسين سبتي، مرجع سابق، ص133.

79- عبد العزيز الدوري، مرجع سابق، ص81.

80- رأفت الشيخ، مرجع سابق، ص185.

81- حسين سبتي، مرجع سابق، ص135.

82- Croce, History, Ibid., p.35.

83- بنديتو كروتشة، المجلد في فلسفة الفن، ترجمة: سامي الدروبي، القاهرة، دار الفكر العربي، 1947م، ص16.

84- يوشنسكي، مرجع سابق، ص135-136.

85- أرنست كاسيرر، مرجع سابق، ص288.

- 86- كولنجوود، مرجع سابق، ص 341.
- 87- بوشنكسي، مرجع سابق، ص 140، وانظر أيضاً: كولنجوود مرجع سابق، ص 340-341.
- 88- العروي، مرجع سابق، ص 79.
- 89- وولش، مرجع سابق، ص 212، وانظر كذلك: البان ج، مرجع سابق، ص 252؛ إذ أورد عن كروتشه قوله: "إن المفاهيم المستخدمة في العلوم الطبيعية هي اعوجاجات أنجزت لغايات عملية".
- 90- بوشنكسي، مرجع سابق، ص 130-131.
- 91- حسين سبتي، مرجع سابق، ص 137، وكذلك كولنجوود، مرجع سابق، ص 340.
- 92- حسين مؤنس، مرجع سابق، ص 179، انظر أيضاً: البان ج، مرجع سابق، ص 256، ص 250-251.
- 93- البان، ج، مرجع سابق، ص 253.
- 94- Croce History, Ibid, 143.
- 95- البان ج، مرجع سابق، ص 251.
- 96- بوشنكسي، مرجع سابق، ص 139.
- 97- كولنجوود، مرجع سابق، ص 219.
- 98- بوشنكسي، مرجع سابق، ص 132، وانظر أيضاً: رأفت الشنخ، مرجع سابق، ص 185.

المراجع أولاً: المراجع العربية

- 1- أحمد محمود صبحي، فى فلسفة التاريخ، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، الطبعة الثالثة، 1990م.
- 2- أرست كاسيرر، مدخل إلى فلسفة الحضارة الإنسانية أو مقال فى الإنسان، ترجمة: إحسان عباس، مراجعة: محمود يوسف نجم، دار الأندلس، بيروت، نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر، بيروت، نيويورك، 1961م.
- 3- اليان ج. ويدجيرى، المذاهب الكبرى فى التاريخ من كونفوشيوس إلى توينبي، ترجمة: ذوقان قرقوط، دار القلم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، تشرين الثاني، 1972م.
- 4- أم. بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة فى أوروبا، ترجمة: عزت قرني، سلسلة عالم المعرفة رقم (165)؛ يصدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أيلول، 1992م.
- 5- جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة: الفلاسفة والمناطق - المتكلمون اللاهوتيون - المتصوفون، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، أيار، 1987م.
- 6- حسين محمد سبتى، أعلام فلسفة التاريخ، تقديم: ساسين عساف، المكتب العالمى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1996م.
- 7- حسين مؤنس، التاريخ والمؤرخون، دراسة فى علم التاريخ وأهميته وموضوعاته ومذاهبه ومدارسه عند أهل الغرب وأعلام كل مدرسة، ويبحث فى فلسفة التاريخ، ومدخل إلى فقه التاريخ، دار الرشد، القاهرة، الطبعة الأولى للدار، 2001م.
- 8- رأفت الشبخ، تفسير مسار التاريخ، نظريات فى فلسفة التاريخ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، طبعة عام 2000م.
- 9- روبين جورج كولنجوود، فكرة التاريخ، ترجمة: محمد بكير خليل، مراجعة: محمد عبد الواحد خلاف، الناشر: لجنة التأليف والترجمة، وزارة التربية والتعليم، الإدارة الثقافية، 1961م.
- 10- رونى إيلى الفا، موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، إعداد: رونى إيلى الفا، مراجعة: جورج نخل، قدم لها الرئيس شارل حلو، جزآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1992م.
- 11- كروتشه، بندتو، المجلد فى فلسفة الفن، ترجمة: سامى الدروبي، القاهرة، دار الفكر العربي، 1947م.
- 12- عبد الله العروى، مفهوم التاريخ، جزآن، المركز الثقافى العربى، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1992م.
- 13- عبد العزيز الدوري، مقال بعنوان: فلسفة التاريخ: عرض تاريخي، منشور بمجلة عالم الفكر، عدد يوليو - أغسطس - سبتمبر 1971م، ص 65-84.
- 14- و. هـ. وولش، مدخل لفلسفة التاريخ، ترجمة: أحمد حمدي محمود، مراجعة: محمد بكير خليل، الناشر: مؤسسة سجل العرب، القاهرة، مصر، 1962م.

ثانياً: المراجع الأجنبية

- 99- BENEDETTO CROCE, HISTORY AS THE STORY OF LIBERTY, TRANSLATED BY SYLVIA SPRIGGE FROM THE ITALIAN " LA STORIA " LATERZA FIGLI FIRST PUBLISHED IN ENGLISH IN FEBRUARY 1941, FOURTH IMPRESSION 1962, PRINTED IN GREAT BRITAIN BY CLEMENTS NEWLING AND CO., LTD, WEMBLEY, MIDDLESEX.
- 100- BENEDETTO CROCE, HISTORICAL MATERIALISM AND ECONOMICS OF KARL MARX TRANSLATED BY. C.M MEREDITH AND WITH AN INTRODUCTION BY, A.O. LINDSAY FRANK CLASS AND CO. LTO. 1966.
- 101- BENEDETTO CROCE, HISTORY ITS THEORY AND PRACTICE, AUTHORIZED TRANSLATION BY DOUGLAS AINSLIE NEW YORK, RUSSELL AND RUSSELL. PRINTED IN THE UNITED STATE OF AMERICA., 1960.
- 102- BENEDETTO CROCE, THE AESTHETIC AS THE SCIENCE OF EXPRESSION AND OF THE LINGUISTIC IN GENERAL, TRANSLATED BY GOLIN LYAS, UNIVERSITY OF LANCASTER CAMBRIDGE UNIVERSITY PRESS, CAMBRIDGE PRINTED IN THE UNITED STATE OF AMERICA, FIRST PUBLISHED, 1992.
- 103- DAVID. D. ROBERTS, HISTORY AS THOUGHT & ACTION: CROCE HISTORICISM & THE CONTEMPORARY CHALLENGE, ARTICLE IN: THE LEGACY OF BENEDETTO CROCE; CONTEMPORARY CRITICAL VIEWS, EDITED BY JACK D' AMICO, DAIN A. TRAFON, & MASSIMO VEDERICCHIO UNIVERSITY OF TORONTO PRESS INCORPORATED, TORONTO, BUFFALO, LONDON, 1999.
- 104- JERZY TOPOLSKI, METHODOLOGY OF HISTORY, TRANSLATED FROM THE POLISH BY OLGIERED WOJTASIEWICZ, D, REIDEL PUBLISHING COMPANY, DORDRECHT - HOLLAND /BOSTON - U.S.A. PWN - POLISH SCIENTIFIC PUBLISHERS WARSAW - POLAND. 1973.
- 105- PATRICK GARDINER THEORIES OF HISTORY, EDITED WITH INTRODUCTION AND COMMENTARY, BY P.G I OXFORD UNIVERSITY, THE FREE PRESS OF GLENCOE, FIFTH PRINTING AUGUST, 1964.

